The North African Journal of Scientific Publishing (NAJSP)
مجلة شمال إفريقيا للنشر العلمي (NAJSP)
EISSN: 2959-4820
Volume 2, Issue 1, January - March 2024, Page No: 149-167
Website: https://najsp.com/index.php/home/index
SJIFactor 2023: 3.733 معامل التأثير العربي (AIF) 2023: 0.63 ISI 2023: 0.383

بنية الشخصية وأبعادها السيسيوبلوتيكا في رواية سفاستيكا للكاتب علي غدير دراسة أدبية تطبيقية

محمد ضو علي علي*
قسم اللغة العربية، كلية الأداب، جامعة بني وليد، بني وليد، ليبيا

Character Structure and Dimensions of Cyoplutica in Svastika's novel by Ali Ghadir Applied literary study)

Mohammed Dhaw Ali Ali *
Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Bani Waleed University, Bani Walid, Libya

*Corresponding author	mohammedali@bwu.edu.ly	*المؤلف المراسل
تاريخ النشر: 2024-01-25 تاريخ القبول: 2024-01-22 تاريخ الاستلام: 2023-12-04

الملخص

تستهدف الدراسة التعرف على رواية سفاستيكا للروائي العراقي علي غدير والوقوف على بنية شخصياتها، ومحاولة فهم طرائق السرد التي صاغت تلك البنية ورسمت ملامح أبعادها، وتناول البعدين السيسيولوجي والبولوتيكي لتلك الشخصيات.

وقد اكتسبت الدراسة أهميتها من كونها تعكس ظروفا تاريخية وسياسية واجتماعية مرّ بها المجتمع العربي العراقي أثرت في حاضره ومستقبله من وجهة نظر روائي عراقي معاصر عاش هذه الظروف أو تأثرت حياته ببعضها، ومن ثم فهو شاهد على العصر يكتب التاريخ في قالب أدبي روائي تحمل عباراته ظلالًا وأطيافًا لتلك المرحلة بحلوها ومرها.

وقد نجمت مشكلة الدراسة عن الحاجة لبيان الأبعاد السيسوبلوتيكا من تفسيرات للواقعين الأدبي والمعيش، وما يستلزمه الكشف عن تلك المضامين من الغوص في أعماق الرواية وتحليل البنى المختلفة لشخصياتها.

ومن أجل تحقيق تلك الغاية استند الباحث إلى المنهج الوصفي التحليلي، لأنه منهج يصف الظواهر المحتلفة ويتعامل معها كما هي، ثم يعمل على تحليلها وتفسيرها بغية الوصول إلى نتائج موضوعية تقبل القياس.

وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج، لعل أبرزها: أن الكاتب عمد إلى تصوير السلطة في صورة امراة، وكان لاستخدام الأنثى رمزًا يوحى بقوة سيطرة المرأة في هذا الوقت ووصولها لإدارة وتحريك المجتمع السياسي.

وقد اتخذ البحث مجموعة من التوصيات، لعل أهمها: العمل على عقد دراسات مقارنة لأكثر من أديب في تلك الحقبة من تاريخ العراق، وهو الأمر الذي من شأنه تقديم صورة متكاملة وتفسيرات أكثر عمقًا لتلك المرحلة، ولاوقوف على أهم التقنيات الأدبية التي استند إليها الكتاب في بيان أهدافهم.

الكلمات المفتاحية: سفاستيكا، بنية الشخصية، الأبعاد السيسيوبلوتيكا.

Abstract

The study aims to identify Svastika's account of Iraqi novelist Ali Ghadir and to identify the structure of her characters, try to understand the methods of the narrative that formulated that structure and painted its dimensions, and address the psychological and pololological dimensions of those characters.

The study has gained significance from reflecting historical, political and social circumstances experienced by the Iraqi Arab community that have influenced its present and future from the perspective of a contemporary Iraqi novelist who has lived these conditions or whose lives have been affected; Thus, he is a witness of the age who writes history in a fiction literary template whose expressions carry shadows and spectrums for that stage by their sweetness and bitterness.

The problem of the study stemmed from the need to demonstrate the sisopolitical dimensions of interpretations of literary realities and living, and the need to reveal those contents by diving deep into the novel and analysing the different structures of its characters.

To that end, the research was based on the analytical descriptive approach; because it is an approach that describes and deals with contested phenomena as they are, and then analyses and interprets them with a view to achieving measurable substantive results.

The research produced a series of findings; Perhaps most notably: the writer portrayed power as a woman, and the use of female was a symbol that inspired the strength of women's control at this time and their arrival in the management and movement of political society.

The research has taken a series of recommendations; Perhaps the most important of these are: to undertake comparative studies of more than Adib at that time in Iraq's history; This would provide an integrated picture and more in-depth explanations of that stage, and to see the most important literary techniques on which the writers based their goals.

Keywords: Svastica, Personal Structure, Sesioplutica Dimensions.

المقدمة:

تُعَدّ الرواية التاريخية من الفنون الأدبية التي تتبع الأسلوب السردي في كتابتها، وتضم مجموعة من الأحداث والقصص التي تشرح أو تذكر تاريخ الثقافة البشرية بصور مختلفة تنبع من وعي الكاتب وسعة اطلاعه، ومن ثم تختلف عن غيرها من القصص والروايات في أنها استنادها إلى خلفية تاريخية يتخذ منها المؤلف خيوطًا ينسج منها الأحداث والشخصيات واضعًا البنى واللبنات على أرض خصبة مملوءة بالحقائق والأحداث التي تلقي بظلالها على الواقع، وهنا تتداخل مستويات الرأي والرؤية والتأويل والحدث.

الشخصية هي أحد أهم عناصر الكتابة السردية، لأنها المحرك الأساس لأحداث الرواية، وهي الشاغل الأول للكاتب منذ بزوغ الفكرة في عقله حتى إتمام العمل الروائي، منها يبدأ تحريك الرواية في اتجاهاتها المختلفة، وصياغة الحدث وترتيبه، وتصويره، ونظرًا لأهمية الشخصية في العمل الروائي اختار الباحث أن تكون بنية الشخصية في رواية (سفاستيكا) للكاتب (على غدير)، موضوعًا للبحث في دراسة أدبية تطبيقية.

تشير الأبعاد السياسية أو البلوتيكية (Plotic) إلى لقوى التي تؤثر في الشخصيات وتدفعهم لاتخاذ القرارات أو توجيه أفعالهم، قد تكون هذه العوامل، مثل: النظام السياسي، الصراعات السياسية، والقضايا الاجتماعية، أما السيسيولوجيا (Societal) فتشير إلى الجوانب الاجتماعية والثقافية التي تؤثر في الشخصيات، منها: القيم الاجتماعية، والعادات، والتقاليد التي تؤثر في تفكير وسلوك الشخصيات، عند استخدام هذه الأبعاد في بنية الشخصية الروائية، يمكن للكاتب استخدام السيسيولوجيا والبلوتيكية لتكوين شخصيات غنية ومعقدة،

ولدمجها في سياقات القصة أو الرواية بطريقة تعكس تأثير العوامل السياسية والاجتماعية في سلوك وتطور الشخصيات.

فمن الناحية السيسيولوجيا (Societal) نجد أن القيم الثقافية تلعب دورًا خطيرًا في تشكيل الشخصية التي قد تنشأ في مجتمع يُحترم فيه الوفاء للعائلة والتقاليد، فإن هذه القيم قد تؤثر في تفكير وسلوك الشخصية، فتجد صعوبة في اتخاذ قرار يتعارض مع توقعات العائلة، كما أن التحديات الاجتماعية التي تواجه شخصية تعيش في مجتمع محافظ يفرض تحديات على النساء لتحقيق الاستقلالية، يمكن أن تظهر تلك الضغوطات في تصرفاتها وتفكيرها.

أما لو نظرنا إلى المنحى البلوتيكي (Plotic، فإن الصراعات السياسية التي تعيش شخصية ما في معتركها أو تحت وطأتها في مجتمع تقسمه التناحر وفتته الطائفية والحزبية نتيجة لصراعات سياسية، يمكن أن تنعكس هذه الصراعات في تحالفات تلك الشخصية وتفكيرها السياسي.

إن التأثير السياسي في شخصية تكون جزءًا من نظام سياسي قمعي يؤثر في حريتها وقراراتها، ومن ثم يمكن أن يتجلى هذا التأثير في مواقفها وتصرفاتها اليومية، عندما تدمج هذه العوامل وتنصهر في بوتقة واحدة تشكل بنية الشخصية الروائية، ويمكن للكاتب أن يصوّر شخصية غنية بالتفاصيل والتعقيدات، إذ تتأثر تصرفاتها واختياراتها بالأحداث السياسية والاجتماعية التي تحيط بها، ما يجعلها أكثر واقعية ومثيرة لاهتمام القارئ والناقد على حد سواء.

تُعَدّ رواية 'سفاستيكا' للكاتب واحدة من الأعمال المعاصرة المميزة التي تستعرض الحقبة الحافلة بالتحولات والصراعات في العراق في الثلاثينيات، تتناول هذه الرواية مسيرة تأسيس الدولة العراقية وتمتد حتى استيلاء العسكر على السلطة بانقلاب يوم 14 تموز/يوليو 1958، الذي شهد ظهورًا أوليًا لميليشيات الأحزاب مثل المقاومة الشعبية التابعة للحزب الشيوعي العراقي، وتبعته سلسلة من المحاولات الانقلابية الفاشلة على حكم عبد الكريم قاسم (1958-1963) وعلى نحو متتالٍ تَجَلَّت حمامات الدم وسحل أجساد المتمردين في الشوارع، تلاها انقلاب في تشرين الثاني/نوفمبر 1964 أدى إلى إزاحة سلطة البعث. ومع ذلك، عاد البعث بانقلاب مضاد في 17 تموز/يوليو 1968، ليؤسس نظامًا ديكتاتوريًا تراجعت فيه الانفتاحية أمام مختلف القوى السياسية، حيث تحالفت معها واحدة تلو الأخرى لاستئصالها والتفرد بالسلطة التي تركزت في شخص صدام حسين[1].

ومن ثم فإن رواية 'سفاستيكا' تُعَدّ رحلة ملحمية تأخذنا بعمق إلى فترة تاريخية ملتهبة في العراق خلال الثلاثينيات، منذ تأسيس الدولة وصولاً إلى فترة الانقلابات والصراعات المحورية، وتتقاطع الأحداث والشخصيات في هذه الرواية لتمثّل لوحة واسعة من التغيرات والصراعات السياسية والاجتماعية، تندمج فيها سيرة الحكم السياسي مع صراعات السلطة، حيث تظهر التحولات والمحن التي مر بها العراق، من المحاولات الانقلابية الدامية على السلطة حتى تأسيس نظام ديكتاتوري وسيطرة البعث، هذه الرواية تعكس صورة حيّة للعراق وتاريخه المضطرب خلال تلك الفترة الحاسمة.

أهداف الدراسة:

يسعى الباحث من خلال دراسة بنية الشخصية في رواية (سفاستيكا) إلى:

1. استكشاف هيكلية وأبعاد الشخصيات في رواية (سفاستيكا)، مع التركيز على تحليل تطوراتها وعلاقتها بالسياق الروائي.
2. تحليل وفهم أساليب السرد المستخدمة في الرواية وكيفية إسهامها في بناء الشخصيات، مع التركيز على العوامل التي أثرت في تطورها وتأثيرها في سرد الأحداث.
3. استكشاف الجوانب السيكولوجية والاجتماعية والسياسية التي تشكل الشخصيات في الرواية وكيفية تأثيرها على التطورات والمشاكل التي تواجهها، مع التركيز على الجوانب الإنسانية والمعنوية في تقديم هذه الشخصيات والتأثيرات المحتملة لها على السرد الروائي بشكل عام.

[1] ينظر: الرواية العراقية؛ رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، سلام إبراهيم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م، ص 2.

مشكلة الدراسة:

تنبع مشكلة هذه الدراسة من الحاجة إلى استكشاف وتحليل الأبعاد السيسوبلوتيكية المتداخلة بين الواقع الأدبي والواقع المعيش، وفهم مضامينها من خلال الكشف العميق داخل أعماق النص الروائي، وينبثق هذا التحليل من الضرورة لفهم دور الشخصيات في تشكيل سير الأحداث وتحليل أبعادها المتعددة داخل الرواية، وتطرح هذه المشكلة أسئلة حيوية، مثل:

- ما الدور الذي لعبته الشخصيات في تقديم الأحداث وتطورها؟
- ما الأبعاد المعقدة لهذه الشخصيات داخل الرواية؟
- كيف تسهم هذه الأبعاد في رسم صورة خاصة للنص الروائي؟

يهدف البحث إلى الإجابة عن هذه الأسئلة من خلال دراسة بنية الشخصيات في رواية (سفاستيكا) التي تبرز بدقة وتميز في رسم صورتها الشخصية، ما جعلها محط أنظار الأدباء والقراء بوصفها رواية متميزة في الأدب الروائي.

منهج البحث:

لتحقيق أهداف البحث اعتمد الباحث على المنهج الوصفي التحليلي، حيث يقوم هذا المنهج بوصف وتحليل الظواهر المتنوعة كما تظهر في النص، مع التركيز على الفهم العميق والتفسير الشامل، ويهدف هذا المنهج إلى الوصول إلى استنتاجات مستندة إلى وقائع ملموسة وتحليل موضوعي يمكن قياسه والاعتماد عليه في الدراسات اللاحقة.

وحدد الباحث خطة العمل في **مبحثين، المبحث الأول**: يتحدث عن بناء الشخصية في رواية (سفاستيكا) ويتكون من مطلبين، **المطلب الأول**: النوع الإيجابي في بنية الشخصية، **والمطلب الثانى**: النوع السلبي في بنية الشخصية، أما **المبحث الثانى**، فهو أبعاد الشخصية في رواية سفاستيكا، **ويشمل مطلبين، الأول**: البعد السسيولوجى. **والمطلب الثانى**: البعد البولوتيكى، ثم أتبعهما الباحث بالخاتمة، والنتائج، والمصادر والمراجع.

المبحث الأول: بنية الشخصية في رواية (سفاستيكا)

توطئة:

في عالم الأدب والفنون، يكون مصطلح البنية مثمرًا لتوصيل فكرة العلاقات والتأثيرات بين جوانب مختلفة للعمل الفني، إنها النظرة الشمولية لعمق الصلات والتداخلات بين عناصر النص الروائي أو الإبداعي، وتفسير لطريقة تنظيمه وبنائه، كما أوضحه صلاح فضل البنية بكونها ترجمة دقيقة لشبكة الروابط بين مكونات العمل الفني، شريطة أن يكون الباحث قادرًا على تحديد سمات هذا النظام، وفهم العلاقات المتبادلة بين عناصره، مما يخلق تنظيمًا متينًا وتفاعلًا بين هذه العناصر[2].

فالبنية مصطلح يقوم في أساسه على خاصية الانتظام والتماسك بين أجزاء النص، لذلك فإن لبّ وجودها هو السياق، وهو ما دعا الباحثين إلى التمييز بين نوعين من البنية المقصود، وغير المقصود منها.

بنية الشخصية هي إحدى البنيات المعتمدة، بل الأساسية في العمل السردي، لأن بناء الشخصية على وجه التحديد هو العنصر الفعال في البناء السردي للعمل الأدبى الروائى كله، فلا رواية دون أحداث، ولا أحداث دون شخصيات، ويصف النقد الأدبي الشخصية الروائية ككيان متحرك يُشاهد في الحركة السردية، فهو كائن ينبض بالحياة والدينامية يُستخدم داخل السرد دون أن يكون عيبًا أو ضعفًا، يُعدّ هذا الوصف استراتيجية تقنية تُمكّن الشخصية من أداء دورها في الرواية بطريقة تفاعلية وملهمة، مُفعمة بالحيوية والتطور الدائم دون الالتفات إلى القيود التقليدية[3]، إن استعراض الجوهر الإنساني للشخصية بوصفها مصدرًا للجذب والإثارة داخل القصة يشير إلى هذا الجاذب بسبب الفضول الطبيعي الذي يثيره تحليل

---

(2) ينظر: نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م، ص122.

(3) ينظر: تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدق"، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995م، ص126.

الشخصيات، فالجميع يميل إلى استكشاف عمق عمل العقل والدوافع التي تحركنا لاتخاذ قراراتنا في الحياة، يتجلى هذا الفضول بشغف لدراسة الجوانب الأخلاقية وكيفية تأثير الظروف في هذه الجوانب، وكيفية تجسيد هذه التأثيرات في أشكال متعددة ومتنوعة[4].

المطلب الأول: الشخصية السلبية في رواية سفاستيكا:

الشخصية السلبية في الأدب الروائي تُعَدّ وجودًا يتخلله مجموعة من الصفات التي تميزها، فهي شخصية غير مستقرة ومُثقلة بالقلق، وبالإضافة إلى ذلك، فهي لا تظهر تطورًا أو نموًا يذكر خلال تطور القصة، وتُعَدّ هامشية فلا يتم تطويرها بشكل يسهم في تطوير أو تقدم الشخصيات الرئيسة، هذه الشخصية السلبية يمكن أن نراها مثالًا في شخصية السائق، الذي يعمل صيادًا للزبائن، ويستغلهم لمصلحته الشخصية، وقد يظهر انغماسًا في الاستهتار بأفعاله واستعداده للذهاب إلى بائعات الهوى دون أن يُبدي اهتمامًا بالعواقب السلبية لتلك الأفعال، يقول الكاتب: "فجأة أوقف السائق المركبة وسط الشارع، سمر نظره إلى الأمام، زفر باضطراب، بيد أنه تنهد وتدارك نفسه كاظمًا غيظه، تصنع ابتسامة، وأضمر حقدًا"، وذلك حينما سأله حواس هل أنت قواد؟ فأجاب السائق: أنا أنقلهن ما بين السوق ومنازلهن، لذا أعرفهن جميعًا يا... ابن عمى"[5].

يصف الكاتب الشخص السلبي في الرواية، وهو المدعو "حواس"، بأنه شخصية غير مستقرة ومترددة، لا تظهر عنده نموًا أو تطورًا خلال أحداث الرواية، يُعَدّ ذا شخصية طائشة ومُهملة، فمن خلال عمله سائقًا يستغل الزبائن لمصلحته الشخصية ويُفضل الانغماس في حياة الرذيلة دون أن يبدي أي هوادة أو سجاعة مخافة ما قد تجره عليك تلك الآثام من ويلات!

إن "حواسًا" يُصور بوصفه شخصية غير متطورة وغير قادرة على التغيير، كما أن دوره في الرواية يبدو هامشيًا ولا يسهم بشكل كبير في تقدم الحبكة الروائية أو تطوير الشخصيات الأخرى، يمكن رؤيته بوصفه تجسيدًا لشخصية سلبية تضاف عنصرًا ثانويًّا في الرواية لتعكس الجوانب السلبية في بعض الشخصيات دون التركيز على تطورها أو تأثيرها الفعّال في سير الأحداث.

عند بداية الرواية، يظهر حواس بطابع سلبي حيث ارتكب فعلًا شائنًا عندما سرق خلخال أمه، ثم توجه لبيعه في سوق البازار، يتبيّن من سلوكه وتصرفاته اللاحقة أنه يحمل حلمًا مكبوتًا بلقاء دلال، مدفوعًا بكلام الآخرين حولها وإشادتهم بها، هذه الرغبة الشديدة في لقاء دلال أظهرها من خلال سرقته للخلخال، مُبديًا اندفاعه ورغبته الشديدة في تحقيق هذا اللقاء المُرتقب، فكانت أحلامه الجنسية وشبقه معول هدم لمسيرة حياته، أطاش مساعيه في صحراء السلبية والعدم، فكانت تلك اللذائذ الحسية تمثل له إثبات وجود وغنائم يقتنصها من دنياه التي يعيش على هامشها، يقول الكاتب: "فكر بليلتين خالدتين سيعيشهما مع دلال"[6]، إن التعبير بـ(خالدتين) يوحي بأن تلك اللذة الحسية هي محور حياته، فإما أن يعشيه حسًّا ووعيًّا أو يحلم به ويتمناه أو يتذكره ويحنّ إليه بعد انقضائه.

في لقائه مع السائق، كان حواس واعيًا تمامًا إلى طبيعة ما يقدم عليه من خطأ وتنكره نفسه، فعندما سأل السائق عن التوصيلة واستفسر الأخير إن كان يبحث عن بائعة هوى، تأثر حواس شاعرًا بحرج بالغ من تعليق السائق على تلك الكلمة، ما دفعه للالتفات برأسه بقلق شديد مخافة أن يكون أحد قد سمع هذا الحديث، وهو ما وصفه الكاتب بقوله:

"ابتلع حواس ريقه، نظر إلى الناس المالئين الشارع جيئة وذهابا، وقال مموهًا: من قال هذا؟ أقرأت في الورقة اسم امرأة؟

السائق بعد أن ضحك بخبث وهو ينطلق بالمركبة، بين:

- الحي الذي تقصده هو حى المواخير يا رجل، فلمَ الخجل؟ ما اسم المرأة التي تبحث عنها؟

أجاب حواس متظاهرًا بالضجر:

---

[4] ينظر: فن القصة، يوسف محمد نجم، (دط)، دار الثقافة، بيروت، (دت)، ص51-52.

[5] رواية سفاستيكا، على غدير، ط1، دار سطور للنشر والتوزيع، 2016م، ص32.

[6] المصدر نفسه، ص15.

- ما بك يا ابن عمى، قلت: إننى لا أبحث عن امرأة"[7].
إن الحوار السابق يسلط أضواء كاشفة عن كوامن تلك الشخصية السلبية، فلدى حواس الوعي بالخطأ ويدرك تمامًا أن تصرفاته خاطئة، ما يظهر وعيه الداخلي بالخطأ الذي يقوم به، كما أنه في داخله يعترف ويقرّ بالخطأ، وتظهر محاولته للنكران لكن بشكل داخلي، حيث يظهر ذلك في استفسار السائق حول بائعة الهوى وكيف أحس بالحرج والخوف من تعرضه للكشف، كما أن حواسًا يظهر إحساسًا شديدًا بالحرج والخوف من اكتشاف سماع آخرين لهذا النقاش، ما يشير إلى قلقه واهتمامه بصورته وقيمته في عيونهم ويخشى سقوطه من الاعتبار، على أن هناك تناقضًا داخليًّا لا يخفى، فحواس يعرف أن تصرفاته غير صحيحة وينكرها ولكنه يواصل القيام بها في الوقت نفسه!
يأتى الوصف بدقة لـ(حواس) وكذلك لـ(السائق) وهما شخصياتان سقطتا في أسر وقيد مختلف (حواس) ساقط في أَسْر اللذة والشهوة والمتعة، التي يعرف تمام المعرفة أن الطريقة التي يريد بها الحصول عليها مخالفة لما هو مستقر عليه في عقيدة المجتمع والعرف، لذلك أنكر أنه يريد بائعة هوى، وكذلك السائق واقع في أسر "الاحتيال"، وهو ما جعله ينصب فخًّا لحواس من خلال إدعائه أنه يعرف بائعة الهوى المقصودة، وهذه هي الطريقة التي يتمكن بها من اصطياد زبائنه والإيقاع بهم في حبائله عن طريق إدعائه معرفة العنوان أيًّا كان هو، لا سيما عندما يكون السائل غريبًا مثل (حواس)، ومن ثم أخذهم لمكان يسيطر عليهم فيه مساعدوه من المحتالين.
تُسلِط الشخصيات السلبية الضوء على جوانب مُظلمة في أعماق الشخصيات، وتسهم بشكل كبير في توضيح وفهم طبيعتها، يحدث ذلك من خلال تفاعلاتها والتصادمات التي تحدث معها، ما يُعزز من التأثير العميق الذي تُحقِقه في الحبكة الروائية[8]، في عالم الرواية تتجاوز الشخصيات السلبية حدود الأداء السلبي في الأحداث، بل ربما يلعب بعضها أدوارًا أساسية في تطور الحبكة الروائية، كما هو الحال في شخصية الصائغ الخمسيني الذي ساوم حواسًا مستغلًّا حاجته إلى المال وبخس سعر الخلخال، وهو مثال يُظهر كيف تؤثر تصرفات الشخصيات السلبية بشكل مباشر على مسار الأحداث وتطورها، ويصور الكاتب هذا الموقف بقوله: "نمَّت نظرة الصائغ الخمسينيّ الأصلع البدين من أعلى إطار نظارته السميكة، عن حنكة بمعادن الناس، تفوق خبرته بتقييم خلخال الذهب دون تمهيد سأله الصائغ بلكنة هجينة:
- من أين سرقت هذا الخلخال يا فتى؟
- تلعثم حواس... ازدرد ريقه، أخفى ارتباكه، ساندًا جسمه النحيل بأطراف أصابعه على المعرض الزجاجى الواطئ، الفاصل بينه وبين الصائغ، الذي أكد ببرود:
- باستطاعتى تسليمك إلى الشرطة هناك، ما لم تخبرنى الحقيقة.
أشار الصائغ إلى شرطى حراسة يتجول في سوق الذهب، متنكبًا بندقيته مدخنا بسيجارة، تتبع نظراته النساء، الحقيقة التي لم يدركها حواس، أن الصائغ لا ينوي مطلقًا اللجوء إلى الشرطى، بعد أن حظي بصفقة مربحة.
- لم أسرقه والله.
هتف حواس وهو يمسك حافة المعرض الزجاجى، ليوقف ارتعاشه أطرافة... أردف وهو يزيغ ببصره في سقف في المحل:
- والله إنه خلخال أمي، وهي في المستشفى تعاني من السرطان... أحتاج ثمن الخلخال لشراء أدوية لها[9].
وهنا وبعد هذا الخوف الذي رآه الصائغ في عين حواس أبرم صفقته المربحة له، فأوجز الصفقة بحزم:
- إياك أن تزج بالرب العظيم في البيع والشراء أيها الفتى، أوقن أنك كاذب، لذا سأدفع لك خمسين دينارًا فقط، وإن جلبت لى وصل أدوية بخمسين دينارًا كما تدعي، سأمنحك خمسين أخريات.
وهنا رد حواس بلهجة القرية المظلومة في عقر المدينة:
– ما يخالف.

---

[7] المصدر نفسه، ص 20-21.
[8] عالم الرواية، رولان بورنوف، رويال أونيلية ترجمة: نهاد التكرلى، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991م، ص151.
[9] رواية سفاستيكا، مصدر سابق، ص10.

هذا الحوار بين حواس والصائغ يعكس تفاعلًا معقدًا ومشحونًا بالتوتر والصراعات الاجتماعية والشخصية، على أن الصائغ يُظهر تناقضًا بين تهديده لحواس باللجوء إلى الشرطة وبين تقديمه عرضًا لشراء الخلخال، هذا التناقض يُشير إلى طبيعة مزدوجة لشخصيته وأولوياته، على أن لهجة حواس وطريقة كلامه تعكس واقعًا اجتماعيًّا يعاني الظلم والتهميش، كما أن الحارس في الشارع الذي يتتبع النساء بنظراته يرمز به الكاتب إلى فساد السلطة، وأنها ترعى الاستغلال والفساد بدليل أنه كان مصدر تهديد لحواس استغله الصائغ في الحصول على ما يريد.

في القصص والروايات تظهر الشخصيات السلبية بأبرز ملامحها التي تفوح منها أوجاع وتشظيات تتجلى في سلوكياتها وأقوالها، مع انعكاس غالبًا للقلق والخوف والشكّ وضياع الثقة بالذات وبالآخرين، تتقاذف ذواتها بين الارتجاف والفقدان، ما يبرز عدم استقرارها وتعقيد حياتها، وكانت شخصية صالح ابن عم الرئيس تُمثِّل رمزية هذا الطابع السلبي بطريقة خاصة، إذ يبرز ذلك الفارق الواضح بين الشخصيات الإيجابية والسلبية في القصة.

صالح الشاب العشريني المنتسب إلى فوج الحماية الخاصة، أمام ابن عمه رئيسه، باسمًا...، صفق كفه بكف صالح، وهزّ ذراعه، وهو يطري:

عفية... أداؤك حقيقي، لقد أفرحتني، أنت تذكرني بمحاولتي لنصرة الحق على الباطل.

صالح: تنفس الصُّعَداء، ردّد بشرود:

عفية عفية عفية[10].

هنا (صالح) هو المطيع لرئيسه وابن عمه، لكن عندما التقى بـ(وسمان) تغير الحال إلى حال آخر حتى إنه فكر في قتل ابن عمه، والفوز بالرئاسة.

من داخل سراديب الرواية، تظهر لنا شخصيات سلبية مثيرة، مثل شخصية "وسمان". بدأت رحلته كرجل من الريف يحلم بلحظات الشهوة مع "دلال"، لكنه تحول مع الزمن إلى رجل طموح، تغيرت أحلامه لتكون عن عروش المال والسلطة. على الرغم من إصابته بالعجز الجنسي، ارتقى بأحلامه إلى أعلى المراتب خارج مجال الجنس. أصبح عارفًا جيدًا بأسرار الأموال، وتحوّل إلى رجل السلطة الخطير الذي يهدد صالح والآخرين حوله، وأهمهم رئيس التحرير في مكتب الإعلام، بقول الكاتب: "فقد تغير إيقاع العمل في مجلة (ألف ياء) بات العاملون فيها يعيرون اهتماما لرئيس التحرير من الناحية الفنية، ولوسمان من الناحية الإدارية، وحفاظًا على ماء وجهه وتاريخه المشرف، وإدراكًا منه لأبعاد المأساة لم يعد رئيس التحرير يجرؤ على اتخاذ قراراته بحق المقصرين ما لم يحسب حساب ردة فعل وسمان، لئلا يتراجع عن قراره تحت الضغط، فتختل صورته في نظر موظفيه"[11].

هذه الفقرة تعكس ديناميكية السلطة والتأثير في بيئة العمل، ويتبيَّن أن تغير الديناميكية في مجلة "ألف ياء"، حيث يُولي الاهتمام الفني لرئيس التحرير والجانب الإداري لوسمان، يعكس الوضع حساسية رئيس التحرير في اتخاذ القرارات بما يتعلق بالمقصرين، حيث أصبح يأخذ بعين الاعتبار ردة فعل وسمان، ما يضعه تحت ضغط لتجنب تأثير غضبه على القرارات التي يتخذها، هذا يظهر القوة التي يمتلكها وسمان وكيف أن تصرفاته تؤثر في صورة الآخرين عندما يُعطَى هذا النوع من الاهتمام والتركيز، ومن ثم نجد في النصوص الروائية تظهر الشخصيات السلبية أحيانًا بصورة تكتسب فيها نفوذًا كبيرًا داخل الأحداث والعلاقات، فقوة الشخصية السلبية قد تأخذ أشكالًا مختلفة، ربما تكون هذه الشخصية تحتوي على معرفة أو معلومات قد تؤثر في الآخرين أو تمتلك نفوذًا يتجلى في سلوكياتها أو استخدامها للقوة، في النهاية يمكن للشخصيات السلبية أن تكون مؤثرة بشكل كبير في سير الأحداث والعلاقات داخل الرواية.

ومن الشخصيات السلبية التي أبدع المؤلف في رسم ملامحها في الرواية زوجة الرئيس، فقد باتت الأخيرة شخصية سلبية تتنقل بين أروقة السلطة، تتسلل كالظلال المتحركة وتناور بين أركان النفوذ والقرارات برغم كونها خلف الكواليس، فإن طموحها لمشاركة وسمان يدفعها إلى السعي الدؤوب نحو الثراء والنجاح الذي يحاول أن يختبئ وراء الستار، تحاول جاهدة أن تقتنص الفرص وتسعى لتحقيق

---

(10) سفاستيكا، ص63.

(11) سفاستيكا، ص77.

أهدافها، وكأي من يترنح في أروقة السلطة، تبحث عن الثروة والنفوذ بدون الاستعراض المباشر، تتلمس الطرق الخفية للوصول إلى هدفها الشخصي دون أن يكون وجهها ظاهرًا بشكل مباشر، لأن مكانتها تقتضي الحفاظ على الصورة الرسمية وتجنب الظهور بوضوح في مثل هذه المواقف، كعادة أصحاب السلطة الذين يبحثون عن الثراء دون الظهور في صورة مباشرة لا سيما لو كانوا من الأسرات الحاكمة، أو أقرباء من رموز الحكم ومن يدور في فلكهم.

وهذا ما يوضحه (وسمان) لـ(حواء) قائلًا:

-لقد شغلت زوجة الرئيس بعض أموالها معي في الشركة، لا أكاد أصدق هذا.

- ابتسمت حواء بمكر وأظهرت استغرابها:

-السيدة الأولى! كيف توصلت إليها!

ضحك وسمان ضحكة متقطعة وهو يشعل عود ثقاب، وينحني كي توقد حواء سيجارتها، مزت ثلاث مزات قصار، دبت النار في لفائف السيجارة ببطء، تلألأت الجذوة...، جلس وسمان على حافة الأريكة. قال وسمان:

"بعد أن تزوج صالح من ابنة الرئيس، زادت أمواله التي تجذرت في أموال الرئيس، فنشطت تجارتي الخاصة بالألبسة، ومواد التجميل التي أستوردها من أرقى المناشئ في فرنسا، أثار الأمر إعجاب السيدة الأولى، فطلبت مقابلتي، وعرضت عليَّ مشاركتي في التجارة"[12]، ثم عاد وسمان ليوضح مدى سلبية شخصية زوجة الرئيس التي لم تكتفِ بوضعها الاجتماعي والسلطوي فقال: "إنها امرأة تعبد المال، وقد تمكنت من استيعابها خلال أسبوع، حين أخبرتها بأنها ربحت ضعف رأس مالها في صفقة مفاجئة"[13]

إن الحوار السابق يكشف عن النقاط المتشعبة في الرواية، حيث يسلط الضوء على التحولات الاجتماعية والسلطوية في البيئة التي تناولتها سفاستيكا، فالكاتب على لسان وسمان يُظهر نمطًا من الاستغلال والطمع من قِبَل الشخصيات ذات السلطة والنفوذ، وكيف يتلاعبون بالمال والنفوذ لمصالحهم الشخصية، وعلاوة على ذلك فالوصف الذي يقدمه وسمان لشخصية زوجة الرئيس يُسلط الضوء على طموحها غير المُتَنَاهِي وعلى هوسها بالثروة، كما تظهر تلك الجملة انغماسًا في عالم الفساد والاستغلال الذي يُحيط بالسلطة، وكذلك الوصف الساخر الذي يُظهر طبيعة العلاقات السطحية والمُصَطَنَعة في هذا النوع من الأوساط، الحوار يتجلى فيه نمط الغرور والمكر الذي يمكن أن يسببه الثروة والنفوذ، يُعَدُّ هذا الحوار مفتاحًا لفهم الكثير من الديناميات الاجتماعية والسياسية المُعقدة في الرواية، فهو يُظهر الاختلاف الكبير بين الطبقات الاجتماعية وكيفية استغلال السلطة والمال في تشكيل مصائر الأفراد وحياتهم، ومن يبين كيف تتغير العلاقات والديناميات الاجتماعية بناءً على التحولات في المال والنفوذ كما لو كانت الحياة عبارة عن رقعة شطرنج، وكيف يمكن للطموح والطمع تشكيل الكثير من القرارات والعلاقات في مثل هذه البيئة.

المطلب الثاني: الشخصية الإيجابية في رواية سفاستيكا:

الشخصيات الإيجابية تشكل الحياة الروائية بطريقة فريدة، فهي تُعرف بقدرتها على إحداث التغيير والتأثير، تستفيد من الفرص وتترك بصمات واضحة في حياة الآخرين. تحمل هذه الشخصيات طابعًا نشطًا وإيجابيًا يستند إلى استخدامها البناء لعواطفها وتفاعلاتها. تتجاوز هذه الشخصيات العقبات وتتحدى الصعاب بتصميمها على التغيير وتحقيق الأهداف، وتظهر هذه النماذج بكثرة في الأحداث المجتمعية، حيث يتفاعل الروائيون مع هذا الواقع لصياغة شخصيات قادرة على التأثير وتحقيق التغيير. مثل الشيخ الذي التقى به (حواس) في القطار، يروي الكاتب قائلًا: "أراد حواس أن يفتح بابًا للحوار، درءًا للحرج، سأل العجوز حين ناوله قدح الشاي، وهو يومئ إلى الكتاب المحشور بين المقعدين:

- ماذا تقرأ؟

أجاب العجوز مبتسمًا بشاربيه المثلثين:

---

(12) سفاستيكا، ص 78.

(13) سفاستيكا، ص79.

-(الحظ السعيد)... أنا متخصص في تدريسه، أتؤمن به؟"[14].
هذا الرجل العجوز يدرك جيدًا الحالة التي عليها (حوس) وما أصابه من فاقات جعلته مهترأ المظهر، فجاءت الكلمة (الحظ السعيد) ذات وقع مدهش على أذن حواس مما أثار سخريته.
عبر (حواس) عن عدم اقتناعه بفكرة الحظ السعيد الذي يتحدث عنه العجوز قائلًا: "لا أثر للحظ في حياتي!، فرد عليه العجوز: يمكنك أن تلفت انتباهه، وأن تجذبه إن شئت.
هنا بدأت إيجابية الرجل تحل محل التشاؤم عند حواس الذي أعقب قائلًا: هذا خطأ شاع بين الناس، فلا فضل للجنين كي يولد سعيدًا، ولا ذنب له كي يولد شقيًا، إنه محض جنين!
ثم يكمل العجوز شرح فكرته قائلًا: "كل ما في الأمر أن الله رأى مستقبلك، حين كنت جنينًا، فدون نهايتك قبل البداية.... لكنك قادر على تغيير مسلكك الآن، هنا تحير حواس وبدأ يعيد التفكير فيما قاله العجوز ثم عاد ليسأل: " أتعني أنني يمكن أن أكون سعيدًا؟
العجوز: بسهولة مطلقة.
حواس: كيف ذلك؟
العجوز: بجذب الحظ إليك! فكر اليوم أنك محظوظ وستكون غدًا محظوظًا.
إن الحوار السابق على بساطته يفتح عدة نوافذ نقاشية تطرحها الرواية بقوة، وهي المفهوم المتناقض للحظ، فالحوار يعكس تصورات متناقضة حول دور الحظ في الحياة، إذ يعبر حواس عن الاعتقاد بأن الحظ ليس له دور فعّال في حياته، في حين يظهر العجوز وجهة نظر مختلفة تتناول أهمية الاعتقاد بالحظ وتأثيره في توجيه الحياة، ولا ننسى الصراع بين القضاء والقدر والإرادة الشخصية، فالحوار يتناول مدى تأثير القدر والإرادة الشخصية في حياة الإنسان، يبدو حواس مُؤمنًا بالتصرف الشخصي وقدرة الإنسان على تغيير مسار حياته، في حين يرى العجوز دورًا أكبر للقدر، ولكنه يشير أيضًا إلى قدرة الإنسان على التأثير في القدر من خلال اعتقاده وتوجيهاته، وهناك أيضًا القضايا الفلسفية والنفسية، فالحوار يدفع بالقارئ نحو تفكير في الجوانب الفلسفية والنفسية المتعلقة بالتفكير الإيجابي وتأثيره في حياة الإنسان، ويلقي الضوء على تأثير الاعتقادات الشخصية والتفكير الإيجابي في سيرورة الأحداث والقدرة على تحقيق السعادة، وإلى جانب ذلك كله ينعكس على مرايا الحوار السابق تباين الشخصيات من خلال ما تحمله من وجهات النظر المتناقضة تجاه الفكرة نفسها، ما يُظهر التنوع الثقافي والفكري في التفكير والإدراك... وأخيرًا يمكن القول بأن هذا الحوار يعكس الصراع بين المفهوم الفلسفي للقضاء والقدر وبين الإرادة الشخصية، ما يثير تساؤلات حول القوى المؤثرة في توجيه حياتنا.
إن الشخصية الإيجابية مثل شجرة تنمو في أرض الحكايا، تندمج مع نسيج المجتمع كله، ولكنها في جذورها تنبض بحقائق الواقع، وتتغذى هذه الشخصية من أعماق التفاعلات بين الذات والحياة اليومية، فهي ليست مجرد صورة أدبية، بل أكثر من ذلك، إنها شخصية متأصلة في الحياة الواقعية ومتأثرة بتفاعلات العالم من حولها.
ولعل أهم الشخصيات الإيجابية في سفاستيكا هي شخصية العرّافة: "تربع أمامها في جلسته، منساقًا برغبة كامنة تحثه على تحري الغيب، وملحة بين أضلعه لتغيير مجرى حياته، قدح فتيل انفجارها عجوز القطار، حين قال له (العرافون فتات الأنبياء)"[15].
"حواس: أأنت من فتات الأنبياء؟
سألها ليفتح بابًا للحوار، فابتسمت له، لمع ناب ذهبي بين أسنانها، فلاح في أفق خياله خلخال أمه وعجوز القطار:
-أنت مفلس لا يرتجى منك نفع.
اقترب منها حواس قليلًا وقال: "الأنبياء لا يتقاضون ثمنًا على ما يفعلونه، فتأسي بهم هذه الساعة واقرئي لي بلا مقابل.
هنا العرافة تسعى لتغيير عالم (حواس) وواقعة من خلال نبوئتها واشتراطها عليه فتقول له: "سأرشدك إلى سعدك، لكنى أشترط عليك شرطًا ما دام مفتاح القفل في حوزتي.

---

(14) سفاستيكا، ص 16-17.
(15) سفاستيكا، ص 15.

هز حواس رأسه أسفًا على موقفه الذي يزداد ضعفا، أردفت العرافة:
- ليس كل الناس أشرار كما تتخيل، الشرط الذي سأشترطه بمقدورك وحدك الوفاء به، أو النكث إن بغيت.
حواس: لكننى لا أملك شيئًا"[16].
الفقرة السابقة تتحدث عن شخصية العرّافة في رواية "سفاستيكا" وكيف تتفاعل مع الشخصية الرئيسة حواس، وتظهر العرافة شخصية إيجابية تحمل بصيرة وحكمة، وتقدم نصائح وتنبؤات للشخصية الرئيسة التي تتبادل الحوار مع العرافة، وهو حوار يكشف عن التوتر بينهما، حيث يسعى حواس لفتح باب الحوار معها لكن بنبرة حذرة وتشكيكية.
لجأ حواس إلى العرافة محاولة لفهم الأمور أو ربما بحثًا عن حل أو توجيهات تساعده على التعامل مع الظروف التي يواجهها، قد يراها بوابة للمساعدة أو رؤية مستقبلية تسلط الضوء على المسار الذي يمكن أن يسلكه، تلجأ بعض الشخصيات إلى الغيبيات أو العوالم غير المألوفة في مواجهة الصعوبات أو عدم اليقين، وقد يكون ذلك نتيجة لحالة عجز في الإرادة أو انعدام الثقة في القدرة على تغيير الأمور بالطرق التقليدية، لكنه ليس بالضرورة أن يكون ذلك قهرًا أو عجزًا في الإرادة، بل قد يكون استكشافًا لطرق جديدة للتفكير أو البحث عن توجيه في ظل الظروف الصعبة، يمكن أن يكون انتقالًا من هذه الحالة إلى حالة تحلم بأفضل مستقبل، لكن هل هذا اللجوء يؤدي إلى حالة من القهر أو لا! يعتمد ذلك على مدى التفاعل الإيجابي أو السلبي لهذه التوجهات على حياة حواس وتأثيرها فيه.
ولأن الشخصية الإيجابية شخصية ذات تأثير كبير فإنها في كل حدث تكشف عن جوانب من طريقة تفكيرها، فحواء في الرواية: "كانت الشخص الوحيد الذي يقف كسدً منيع في وجه وسمان، باتت المسيطر الأوحد على التوازن ما بين رئيس التحرير و(السيد المشرف) ذي السلطة الرئاسية المهيبة"[17]، التى رتبت مع وسمان كل شيء عندما: "تناولت سيجارة كوبية من العلبة المنمنمة التي عرضها أمامها وسمان وهو يقول:
- سارت أموري بشكل أفضل مما تخيلته، ورأس مال الشركة أصبح أضعاف ما كان عليه قبل شهر"[18].
وظهر أثرها واضح في تحريك أطراف الرواية، لا سيما تغغيرها اسم البطل من (حواس) إلى (وسمان)، رقصت الحروف وتناغمت في ألوان الرواية لتنقلب مجرياتها، حيث تلاشت الهوية السابقة لبطل الحكاية (حواس)، لينبثق شخص جديد بلون الغموض والتغيير يحمل اسم (وسمان)، فتشكّلت مسارات متداخلة تقوده نحو ظلال الرئيس، خطوة بعد خطوة، مع إطلاق رحلة الوصول إلى الهدف، وتلمع رموز الرواية بإعادة تسمية البطل، حيث تثير تلك التحويرات دهشة (حواس) وتبث فيه التساؤلات.
قالت له: "يمكننا أن نأخذ منه العبرة، ووسم اليوم يمكننا أن نرسم من خلاله ما نشتهيه للغد، الغد حصيلة ما نفكر فيه اليوم، نحن نخلقه كما نشاء"[19].
وحينما علمته كيف يكون رجلًا أنيقًا حتى يصلح لأدء مهامه بعد وصاية النائب على رعايته، فتقول له: " للعمل أزياؤه، كما له قواعده، سأعد لك منهجًا تدريبيًا نبدأ به من الصفر"[20].
وكان الفريق صالح عواد أحد الشخصيات الإيجابية التي تألقت بوصفها أحد النجوم الساطعة في سماء الرواية، فقد لعب دورًا لا يمحى في توجيه مسار الأحداث نحو الاتجاه الذي رسمه لها ببراعة وتأثير، يصفه الكاتب قائلًا: "رجل معروف لدى الجميع، هو لا ينكر إطلاقًا علاقته التي كانت متينة بالرئيس العراقي الطاغية، وهو اليوم يقف أمامكم ليتبرأ من أية علاقة له مع هذا النظام، وليعلن ولادته من جديد، ويعتمد في مؤتمركم هذا، ويشارك شملكم الكريم نصرة لشعبنا الأبى"[21].

---

(16) المصدر نفسه، ص31.
(17) المصدر نفسه، ص 77.
(18) المصدر نفسه، ص78.
(19) المصدر نفسه، ص53.
(20) المصدر نفسه، ص 54.
(21) المصدر نفسه، ص105.

الفقرة السابقة تتناول شخصية صالح، وتظهر تباينًا واضحًا بين ما كانت عليه علاقته الماضية وموقفه الحالي، تبدو الصورة متناقضة، فهو يحاول إلقاء التباين على موقفه الحالي عبر الإنكار الصريح لعلاقته السابقة مع النظام السابق، ويُشير لرغبته في الانفصال التام عن تلك العلاقة ويُحاول تبرئة نفسه بقوة من الصورة السلبية التي ربطته بها، ويعتمد على تغيير هويته ويحاول الانضمام إلى جماعة جديدة لنصرة الشعب، هذا يُظهر تطورًا في وجهة نظره وقراراته وربما يُظهر تغيرات في مواقفه السياسية بناءً على التغيرات في الظروف أو السياق السياسي والاجتماعي الحالي، من الواضح أن صالح شخصية ميكافلية نفعية تتلون على حسب الحال والمصالح، وهذا يؤكد أن المصطلحات الروائية لا تعبر بالضرورة عن القيم الأخلاقية الواضحة، فالشخصية الإيجابية في السياق الروائي تشير إلى شخصية قادرة على تحريك الأحداث ولها تأثير واضح على مسار القصة، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنها تمتلك صفات الخير أو الأخلاق السامية، فقد يكون للشخصية الإيجابية في الرواية خصائص سلبية أو قد تكون نموذجًا لصفات غير محببة في الواقع، ولكن دورها في تطوّر الحبكة القصصية يجعلها مهمة وإيجابية بالنسبة لتطور الرواية.

عندما تبدأ الشخصية الإيجابية بالتحرك داخل الرواية، يتنوّع كل تصرف لها، مُضيفة نكهة مميزة إلى كل خطوة، تبدو شخصية صالح أو وسمان، على الرغم من أنهما نشآ في قرية فقيرة، وكأنهما قد استوعبا الدروس التي علّمهما إياها العجوز في القطار، لقد أصبح كل منهما بفضل الإرادة شخصًا آخر، يستطيع الآن التعامل مع تداعيات السلطة ومطامح أصحابها، ونجحا في تحويل أنفسهما، فوصل صالح ليصبح رجل دولة، قادرًا على مجابهة أصحاب القرار والطامعين، كما تجلى في بداية الرواية، مبتدئًا بتفنيد فكرة القدر والمصير المحتوم، فالإنسان ليس مجرد منتج لظروف ورثها، بل هو صانع لمصيره الخاص، قادرًا على تحقيق تغيير حقيقي، يقول الكاتب: "أن اتخبط في مسيرتي، وأقف كل حين أتلفت، بحثًا عن محطة، وأسلك سبلًا مطينة مغبرة، ثم لا أجد من ألقى عليه بالائمة، فأنسب شقائي إلى جذر بعيد، وأعقد بالرأي أنني ولدت شقيًا... فذلك ضرب من الظلم والجنون، أن تلدني أمي شقيًّا أو سعيدًا، تلك مهزلة توهمتها، لأعزي نفسي، حين أشقى أنا وتسعد أنت... أنا فقط، وليس من أحد سواي، أستطيع أن أحدد لنفسي طريقًا أسلكها نحو السعادة أو الشقاء"[22].

المبحث الثاني: أبعاد الشخصية في رواية سفاستيكا

توطئة:

يعكس مفهوم الأبعاد في الشخصية الروائية فكرة الفروق والتنوع الفريد بين الشخصيات، إذ يصور الكاتب هذه الشخصيات بأدوار وصفات تميز كلًّا منها عن الأخرى، سواء من ناحية الطباع أم العقلية أم السلوك، ويُفسّر جليفرود فكرة الأبعاد الشخصية عبر تأكيد كل سمة من سمات الشخصية وكونها تحمل فروقًا تجاه سلوك أو سمة محددة، فهي تميل أو تمتنع عنها، كما هو الحال مثلًا تجاه الكسل أو الاندفاع، الحرص أو عدم الدقة، ما يُظهر التنوع والاختلاف في السمات الشخصية[23]، فالكاتب يدخل في حديث مباشر في أثناء العملية الروائية مع هذه الأبعاد حتى يستطيع أن يرسم العلاقة المباشرة مع مكونات العملية السردية وهي: (الشخصية، والحدث، والواقع الخارجي).

السيسيولوجيا تُعَدّ منهجًا ونظرية متخصصة في علم الاجتماع، تلتقي مع فروعه ومساراته المتعددة، وتُفسَّر بأنها علم يدرس الإنسان في سياق مجتمعي ومجموعاتي، ويركز على التفاعلات والسلوكيات الاجتماعية، ويُنظر إليها بوصفها بديلًا لعلم الاجتماع نظرًا لتوسعها في دراسة الظواهر الاجتماعية بشكل شامل، كما تتضمن اهتماماتها دراسة أسباب التغيرات في السلوكيات والمظاهر الاجتماعية، بالإضافة إلى فهم جذور الأنظمة السياسية والقانونية وتأثيرها في المجتمعات والأفراد، يُعَدّ من الملاحظات البارزة للنقاد أن الشخصية الفنية المرتبطة بالأدب تتميز عادةً بتماسكها ووضوح بنيتها، وقد أثارت مكونات هذه الشخصية اهتمام النقاد، إذ كشفوا عن ثلاثة جوانب رئيسة يمكن تمييزها في تشكيلها: الجانب الداخلي النفسي الفسيولوجي، الذي يتناول الحالات النفسية والعقلية للشخصية،

---

(22) المصدر نفسه، ص 8.

(23) ينظر: الأبعاد الأساسية للشخصية، أحمد محمد عبد الخالق، (دط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2007م، ص 202.

والجانب الخارجي البيولوجي، الذي يركز على المظهر الخارجي والسلوك، والجانب الاجتماعي السوسيولوجي، الذي يُلقي الضوء على السياق الاجتماعي وعلاقات الشخصية بالآخرين[24].

المطلب الأول: البعد السيسيولوجي في رواية سفاستيكا:

يظهر البعد الاجتماعي في رواية (سفاستيكا) علاقة الشخصيات بمجتمعها والمحيط الذي تنتمي إليه هذه الطبقات، يقول على غدير في وصف حواس: "وقف مثل فزاعة مكسورة الجناحين، لا يقوى حتى على التلويح بيديه، فقد ترعب الفزاعة عصفورًا بينما هو أدنى من عصفور مرعوب، تهفهف ريح شباط بغدادية دشداشته البالية، لينسل البرد عبر جلده الجاف ولحمه الرقيق، فيظهر عظامة الهشة، مثل قدوم حطّ على قصب"[25]، هنا يأخذنا الكاتب إلى منزل حواس، لنرى المستوى المادي الذي يعيشه، فهو من منزل شديد الفقر، لم حصل ولو على أقل ما يقتات به الجسم وهو ما دعا الكاتب لوصفه، قائلًا: "لينسل البرد عبر جلده الجاف ولحمه الرقيق، فيظهر عظامه الهشة"، وهو ما يحمل دلالات سوء التذية والفقر الشديد.

هذا الوصف يتضمن تفاصيل مشاعر حواس ووضعه الجسدي بشكل مثير للعواطف والتفكير، يستخدم لغة وصفية متقنة لإظهار حالة الضعف والهشاشة التي يعيشها حواس، ويعتمد الوصف على تشبيهه بفزاعة مكسورة الجناحين، وهو وصف يُظهر صورة لشخص متألم وضعيف، فهو مجرد هيكل وصورة بالية عديمة الفائدة، ونجد عبارات، مثل: "لا يقوى حتى على التلويح بيديه" تُظهر العجز والضعف البدني، في حين أن الوصف البيئي المتمثل في -"تهفهف ريح شباط بغدادية دشداشته البالية" يعكس الظروف البيئية القاسية وتأثيرها على حواس، كما يستخدم الوصف لتأكيد حالة الهشاشة والعجز، وقد تكون هذه التفاصيل جزءًا من تقديم صورة عميقة للشخصية وما يمر بها من تحديات ومعاناة، إن استخدام اللغة الوصفية المشبعة بالتفاصيل يعزز الرغبة في مشاركة وفهم حالة شخصية حواس ومدى ضعفه وهشاشته.

بعدما رسم الكاتب صورة واضحة للسائق والبون الشاسع بين المدينة والقرية، يبدو سكان القرية مثل التائهين في زحام المدينة الضخمة، والسائق يستغل هذه الفجوة الثقافية ويصطاد سكان القرية الذين يجلبون له ثروة من وراء سذاجتهم وجهلهم بحيل المدينة وحبائل الاحتيال المُعتادة في أحيائها المزدحمة، هؤلاء السكان الريفيون يظهرون مثل فريسة سهلة للاحتيال، فهم لا يمتلكون الخبرة التي تُمكِّنهم من التعرف على مكائد المدينة والحيل التي ينتهجها الآخرون فيها، وقد تناول الكاتب ذلك قائلًا:

"السائق: أريد أن أساعدك... أختصر عليك الطريق... أنا أعرفهن جميعًا.

نظر حواس إليه من زاويتي عينيه وسأله:

-هل أنت قوَّاد؟".

وهنا تكمن أهمية الشخصية في أنها تمثل وسيلة أو تكأة فنية من وسائل الكاتب لترجمة القصة أو الإفصاح عن الموضوع من خلال الحركة، وهو ما سيظهر في ردّ فعل السائق المحتال على سؤال حواس الذي يصفه الكاتب فيقول:

- "فجأة أوقف السائق المركبة وسط الشارع، سمّر نظره إلى الأمام، زفر باضطراب، بيد أنه تنهّد وتدارك نفسه كاظمًا غيظه، تصنّع ابتسامة، وأضمر حقدًا:

- أنا أنقلهن ما بين السوق ومنازلهن، لذا أعرفهن جميعًا يا.. ابن عمي"[26].

ثم عاد ليصف لنا العملية الاحتيالة التي تمت، ويظهر البعد الحقيقي للسائق، وهنا العامل الاجتماعي يلعب دورًا كبيرًا في تكوين شخصية حواس الذي سيصبح فيما بعد (وسمان) رجل الدولة الأول، يقول الكاتب: "توقفت المركبة أمام بيت متواضع متهالك البناء، في شارع ضيق، تتراصف فيه البيوت مكتظة، بطراز فقير.. تساءل حواس:

- أهذا حي (البتاويين)؟

---

[24] ينظر: المسرح في الجزائر، صالح لمباركية، ط2، دار بهاء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م، ص 276.

[25] سفاستيكا، ص 9.

[26] المصدر نفسه، ص 21.

اقتضب السائق جوابه، مدّ يده مطالبًا بالأجرة، غامزًا بحاجبيه:
- وهذا هو بيت دلال.
حواس: ماذا سأفعل الآن؟
قابله السائق بضحكة ماكرة، حين قبض الأجرة، وتمتم:
حواس: أنت أدرى يا ابن عمي".
هنا استغل السائق غربة حواس، وعدم إحاطته بما حوله، مؤججًا رغبته بالغمز واللمز، فقد بنى الكاتب شخصية السائق المحتال بناءً محكمًا يظهر البعد الاجتماعي والنفسي لها بكل وضوح، فالسائق يمثل السقوط الاجتماعي والأخلاقي في مجتمع المدينة الصاخب، ذلك المجتمع الذي تذوب فيه القيم وتنمحي تحت وطأة معاول المادة والاحتياج والتطلع الدائم لتلبية رغبات لا تنقضي إلا لتتجدد وتتولد، مجتمع لا يهمه دينك ولا خلقك ولاثقافتك وعلمك، بل يعنيه في المقام الأول والأخير ما تمتلكه وما أنت قادر على فعله، إن السائق ومن على شاكلته هم أبناء شرعيون لتلك المجتمعات التي فتكت بها العولمة.
بدأ الحديث بين حواس وبين سكان البيت، يعبر الكاتب عن ذلك، قائلًا:
نقر زر الجرس، فأتاه صوت أجش، لم يتمكن من تمييزه إن كان لرجل أم لامرأة:
-ادخل...الباب مفتوح.
ولج الباب قلقًا من السكون المخيم، تلفت باحثًا عن مصدر الصوت دون أن يلمح حركة، فنادى بمناداة أهل القرية:
-يا أهل الدار.
فلم يرد عليه أحد"[27].
اعتاد حواس وهو رجل ريفي ألا يدخل منزلًا دون إذن أصحابه، وهذا يحمل دلالات التربية، فلم يكن من أسرة منفتحة تعتمد على غير العادات الريفية، لكن "ثم ما لبث أن تعرض للكمين فإذا به: " يلتفت صوب الباب فباغتته صرخة مولوله رجت السكون، فورًا دلف من الباب شابان منذهلان يصيحان به:
- حرامي... حرامي"[28].
وهكذا سُرق ماله وتعرض للسحل، وخسر حلم الوصول لدلال.
باستخدام البعد السيسيولوجي في وصف الشخصيات الروائية، يظهر تأثير المنشأ الاجتماعي والمركز الاجتماعي للكاتب، ويعكس هذا البعد المذهب الاجتماعي الذي قد يجد تعبيرًا في النشاطات والبيانات التي تتجاوز إطار الأدب، فيسلّط الضوء أيضًا على مسألة المضمون الاجتماعي وأهداف الأعمال الأدبية وأغراضها الاجتماعية، حيث تتعدد الطبقات الاجتماعية وتتفاوت القيم والمعتقدات تلقائيًّا في تأثير هذا البعد[29]، يقول الكاتب في وصفه البعد السيسيولوجى للمدينة وطباعها: "وقف أمام مطعم وسط سوق كبير، لم يكن يدري كم قطع من مسافة سيرًا على قدميه حتى وصل إلى هنا، هو لا يعرف اسم المكان، بدا الوقت ظهرًا والناس يرتادون المطعم لتناول الغداء، توقع أن ينادي عليه صاحب المطعم بشهامة للدخول، كما يحدث في القرية مع الغرباء، لكن صاحب المطعم لم يبالِ به، بل شزره من خلف زجاج الواجهة بنظرة طارده، حين طالت وقفته، نظرة كتلك التي يرمق بها شيخ القرية الفلاحين، حين يتقاضون منه دراهمهم المعدودة جزاء عرق الموسم الغزير"[30]، يبرز هنا بُعدان اجتماعيان، فالأول يمثل الحياة الحضرية والتفاعلات بين الأفراد، في حين أن الثاني يستعرض التقسيمات الاجتماعية الريفية، حيث ينقسم المجتمع الريفي إلى طبقات، تبدأ بطبقة شيوخ الفلاحين الثرية والمؤثرة، وتنتهي بطبقة العمال الذين يعملون بجد ويتقاضون أجورًا زهيدة، هذا الوصف يأخذ القارئ في رحلة لفهم مواقع الأفراد ومعتقداتهم، ويربط لغة الأديب بواقع الشخصيات وتصوُّراتهم الخيالية، يستشعر القارئ من خلال هذا الوصف تعقيدات البيئة الاجتماعية وتوجهات الأفراد نحوها، ما يعكس نقلًا دقيقًا للحياة والمجتمع من خلال رؤية الأديب، حتى إن (توادروف) يرى أن الوظيفة

---

[27] ، سفاستيكا، ص 24.
[28] المصدر نفسه.
[29] ينظر: نظرية الأدب، رنيه وليك، أوستن وارن، ترجمة: عادل سلامة، (دط)، دار المريخ للنشر، السعودية، 1992م، ص 9.
[30] سفاستيكا، ص 26.

الأدبية لا تُحدَّد بأدوات منهجية معينة، بل تتجسد في الخيال والافتراضات غير الواقعية وغير الصادقة، هذه الأدوات ضرورية لوصف العمل الفني برغم أنها لا تقدم الحلول للمشكلات المطروحة[31]، هنا يتجلى الفرق في السيسيولوجيا بين الانتماء الأيديولوجي للكاتب وبين واقع المستوى الاجتماعي والمعيشي لمجتمعه، فهناك تباين بين تفكير الكاتب بوصفه عنصرًا أيديولوجيًّا في الجماعة وبين موقعه الاجتماعي والاقتصادي، كون الأدب بذاته لا يكفل الحياة للكاتب، في ضوء هذا المنظور يصوّر الكاتب الواقع الاجتماعي السائد، الذي يُسيطر عليه أصحاب السلطة والعلاقات الواسعة، حيث تفتقر الطبقات الضعيفة إلى أيّ حقوق. البعد السيسيولوجي في الرواية يُظهر تفاصيل شبكة العلاقات الاجتماعية، وأنماط السلوك المتأصلة والعادات والتقاليد التي تعكس المنشأ الأساسي للقيم التي تدفع هذا الفرد أو ذاك. كما يسلط الضوء على عوامل الانتماء ووسطاء التحكُّم الاجتماعي والطبقات الاجتماعية والأدوار التي يتقمَّصها الأفراد[32]، فقد تحوَّل وسمان بفضل نصائح (حواء) إلى شخص يحترمه ويهابه الجميع، فهو شريك زوجة الرئيس، وأصبح الوجه الإعلامي الأول لرئاسة البلاد، ورجل الأعمال ذا الشركات الناجحة والثروات الضخمة، وأصبح مصدر ثقة الرئيس، تتضح من خلال أحداث الرواية أن وضعه الاجتماعي ارتبط بشكل وثيق بموقعه السياسي وما يبرز منه خلال عمله وتصرفاته، كما جاء على لسان الكاتب من خلال شخصية (أمير): "هل سأجد قدمًا في كردستان، لديَّ مشكلة عريقة مع القوم، أنت مليونير، سوف تُفتح لك الأبواب أينما حللت، وستذلَّل أمامك كل الصعاب، وتُحلّ المشكلات"[33].
إن مفهوم الوعي الفعلي، كما يُقصد به لدى جولدمان، يعكس الوعي التجريبي على مستوى السلب، حيث يقتصر على الوعي بالحاضر دون إمكانية التأثير أو التغيير، يحاول أفراد المجموعة الاجتماعية فهم واقعهم الاجتماعي، الاقتصادي، الفكري، الديني، والتربوي، لكن الوعي الفعلي يُظهر وعيًا لحظيًّا يتسم بفهم المشكلات التي يواجهها الفرد، ولكنه لا يمتلك القدرة على اتخاذ حلول فعّالة لتجاوز هذه المشاكل والتصدي لها[34]، إن ماضي أبب وسمان لم يغادر ذاكرته، فكان يعتقد أنه لا يُمكنه التصالح مع فكرة قتل أفراد العشائر، هذا الفكر السائد حول الانتقام عرقل تقدمه في الساحة الاجتماعية والسياسية، ولكنّ (أمير) أدرك ضرورة توجيه وعي وسمان نحو واقعه الحالي، فقد أصبح الآن مليونيرًا، وهذا كفيل برفعه على أعناق المجد والسياسة والوجاهة الاجتماعية، ويمحو تاريخه الشائن ويسطر له تاريخًا جديدًا بحروف من نور، فعمل أمير على حثه لنسيان الماضي والتخلّص من آثاره، تلك الآثار التي كان يخشى أن تعترض خطواته المستقبلية.

المطلب الثاني: البعد البولوتيكي في رواية سفاستيكا:

مصطلح "البوليتيكي" يستند إلى "علم الاجتماع السياسي"، ويتمحور دوره في الرواية حول قضايا الشعوب، وقد عرّف الناقد سيد حامد الرواية السياسية على أنها تعبر عن نقد ومعارضة واحتجاج، وتتميز بكونها معادية للسلطة بكل أشكالها، كما تتبنى الرواية السياسية فكرة تحرير شامل، إذ تستند مضامينها إلى معاناة الشعوب تجاه السلطة ومفهوم الانتماء السياسي[35].
يشكل البعد السياسي أحد أهم الأبعاد التي تستند عليها الكتابة السردية، حيث يسعى الروائي من خلاله إلى دراسة ومعالجة القضايا السياسية التي يعاني منها الفرد والمجتمع. وتتمثل هذه القضايا في ظلم الاستبداد وقهره وتهميشه، وكذلك قضايا حرية وعدل وكرامة، وقد عبر الكثير من الكتاب المعاصرين عن أهمية البعد السياسي في الكتابة السردية، فرأوا أن الكاتب هو المؤرخ الحقيقي للمجتمع، من خلال الشخصيات التي يخلقها في أعماله الأدبية، فهذه الشخصيات التي تعاني المآزق الفكرية والاجتماعية والإنسانية تعكس الواقع السياسي الذي تعيشه المجتمعات، ولعل من أبرز الأمثلة على البعد السياسي في الكتابة السردية، روايات نجيب محفوظ، التي عالج فيها عددًا من القضايا السياسية والاجتماعية

---

(31) ينظر: نظرية الأدب، رنيه وليك، أوستن وارن، ص 108-109.
(32) ينظر: الشخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، (دط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006م، ص 69.
(33) سفاستيكا، ص 110.
(34) ينظر: سوسيولوجيا الرواية السياسية، صالح سلمان، (دط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م، ص 57.
(35) ينظر: بانوراما الرواية العربية الحديثة، سيد حامد النساج، ط2، دار غريب، القاهرة، (دت)، ص 223.

التي كانت تعانيها مصر في القرن العشرين، ففي روايته "القاهرة الجديدة"، عالج محفوظ أزمة التحديث التي كانت تعيشها مصر وقتئذ، وفي روايته "الثلاثية"، عالج قضايا الظلم والاستبداد التي كانت تعانيها مصر في عهد الملك فاروق.[36]

يرتكز البعد السياسي في الرواية على عدة أسس فنية، أهمها:

1- السرد المفصل للوقائع والأحداث السياسية:

يلجأ الروائي إلى السرد المفصل للوقائع والأحداث السياسية، وذلك من أجل إبراز أهميتها وتأثيرها على حياة الأفراد والمجتمعات، كما يسعى الروائي إلى نقد هذه الوقائع والأحداث نقدًا بنّاءً، وذلك من أجل الكشف عن جوانبها السلبية وتقديم حلول لها، ومن الأمثلة على ذلك سرد رواية "الثلاثية" لنجيب محفوظ لثورة 1919م في مصر، التي كان لها تأثير عميق في حياة المصريين.

2- إبراز حقائق سياسية:

يسعى الروائي إلى إبراز حقائق سياسية مهمة، وذلك من أجل رفع مستوى الوعي السياسي لدى القراء، كما يسعى الروائي إلى تصحيح المفاهيم الخاطئة حول القضايا السياسية، ومن الأمثلة على ذلك سرد رواية ابنة برغر (Burger's Daughter) للكاتبة الجنوب أفريقية نادين غورديمير، تقدم جورديمير نقدًا لاذعًا للسياسات العنصرية في جنوب إفريقيا في أعقاب انتفاضة "سيوتو"، ما دفع هذا النقد السلطات إلى حظر الرواية وحظر العديد من الأعمال الأخرى التي تنتقد النظام.

3- الاعتماد على الإقناع والدعاية والالتزام:

يعتمد الروائي على الإقناع والدعاية والالتزام في تناول القضايا السياسية، وذلك من أجل إثارة مشاعر القراء ودفعهم إلى اتخاذ موقف معين تجاه هذه القضايا، ومن الأمثلة على ذلك سرد رواية "الرجل الذي فقد ظله" لفتحي غانم، التي يسعى فيها الكاتب إلى انتقاد الاستبداد من خلال شخصية البطل الذي يفقد ظله تحت وطأة قمع السلطة.

4- النسق السياسي موجه لخدمة الإنسان أكثر من أي نسق آخر:

يؤكد الروائي أن النسق السياسي يجب أن يكون موجهًا لخدمة الإنسان أكثر من أي نسق آخر، كما يسعى الروائي إلى نقد النماذج السياسية التي تستغل الإنسان وتقضي على حقوقه.

5- يقوم في مجتمع له معالمه وخصائصه الواضحة المميزة:

يرتبط البعد السياسي في الرواية ارتباطًا وثيقًا بالمجتمع الذي تدور فيه أحداث الرواية، ويحرص الروائي على تصوير المجتمع تصويرًا واقعيًّا، وذلك من أجل إبراز تأثير القضايا السياسية في حياة الأفراد والمجتمعات[37].

وهذا ما يجعل من (البعد البولوتكي) بعدًا ذات أهمية كبيرة في بناء أي شخصية، إذ يتجلى البعد السياسي في شخصية الفرد، سواء كان مواطنًا بسيطًا أم رجلًا سياسيًا، بوصفه أحد أهم الأبعاد التي تسهم في تشكيل الشخصية الروائية أو الأدبية، وذلك لأن هذا البعد يتشكل من خلال تفاعل الفرد مع مكونات اجتماعية وسياسية متعددة، تبدأ بالبيئة المحيطة به، وتمتد إلى النظام السياسي الذي يحكم جماعته.

السياسة هي مرآة الحياة ومحركها الفاعل، فهي تعكس أفكار المجتمع وتوجهاته، وتؤثر في مجرى الأحداث، وهي المحرك الأول لمسيرة البشر في أي مجتمع، كونها تحدد أصول الحكم، وتنظم شؤون الدولة، وفي هذا السياق، يحكي على غدير مؤلف سفاستيكا عن الطريقة التي استطاع بها (وسمان) إرهاب الآخرين، موظِّفًا البعد السياسي في ذلك في خطته للتخلص من كبير التجار، وافتتاحه لشركة (صقر العرب)، يقول الكاتب: "انبهر صالح من الفخامة التي تتأجج في مكتب شركة (صقر العرب)، الجدران مطلية بدرجات متفاوته من اللون الذهبي، سوى جدار واحد تغطية بأكمله صورة السيد الرئيس"[38].

---

[36] ينظر: الرواية السياسية، طه وادي، (دط)، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 2003م، ص 11.

[37] ينظر: السابق، ص 39.

[38] سفاستيكا، ص 69.

عندما عاد (وسمان) وأصبح المليونير العراقي، خادم الرئيس وثارت الثائرة على الرئيس العراقي، عرض عليه (أمير) العمل السياسي، قائلًا:
"المستقبل يفتح ذراعيه لك، يمكنك أن تبدأ مشوراك السياسي إن شئت.
وسمان: أين ومتى؟
أمير: في إقليم كردستان، اليوم قبل الغد"[39].
في إقليم كردستان، حيث تُباع الحروب بالخلخال، يُدعى (حواس) للعمل السياس، يا لها من مفارقة، لكنه يدعى اليوم ليس بضعفه بوصفه (حواس)، بل بقوة (وسمان)، في رواية "سفاستيكا"، يروي الكاتب قصة صعود رجل بسيط إلى السلطة، بداية من تعليم (حواء) له الدهاء السياسي، وصولًا إلى قتله صهر الرئيس وابن عمه، وحصوله على العفو الرئاسي، تحكي الرواية في هذا المشهد تفاعل الكاتب وتعاطيه مع الأحداث السياسية التي وقعت إبان زمن الرواية، وهي الفترة التي سبقت الغزو الأمريكي للعراق وسقوط حكم الرئيس صدام حسين، وهو ما عبر عنه الكاتب بقوله: " كان وصول وسمان إلى أربيل محفوفًا بالاضطراب، ولولا المغلف الذهبي الذي يحوي العفو الرئاسي الخاص، لتعذر عليه دخول الأراضي العراقية... ورحب به في نقطة التفتيش:
أهلًا وسهلًا بك (كاكة وسمان) نورت المدينة.
عانقه وسمان، وجد فيه الملاذ الآمن، قال له وهما متعانقان:
شكرًا جزيلًا سيد (سرادر)، أشكر الله لأنك هنا"[40].
في ظل ارتباط الأديب بعصره، كان التيار الواقعي هو الغالب على كتابة القصة والرواية منذ نشأتهما في عشرينيات القرن الماضي، وبتطور الرواية ظهرت روايات تاريخية ورومانسية واجتماعية، تصور الواقع الاجتماعي في حقب تاريخية معينة، ومع ارتباط الرواية العراقية بتاريخ العراق وحوادثه السياسية وتحولاته العنيفة، ظهرت روايات تتناول هذه القضايا، سواء من خلال تيمة الرواية أم من خلال شخصياتها أو طبيعة الحكاية التي ترويها الكاتب للقارئ، وفي رواية "سفاستيكا"، يرسم لنا الكاتب كيف كان المجتمع والنظام السياسي تتم إدارته، من خلال البعد السياسي لشخصيات العمل السياسي، ويبرز هذا البعد في شخصية الشاب الذي استعان به (وسمان) للتخلص من منازعه على السلطة صالح، يقول الكاتب: فتح وسمان باب شقته القريبة من فندق هيلتون، ابتسم له الشاب الأسمر ذو الخال الكبير القابع فوق حاجبه الأيمن، بادره وسمان:

- كل شيء جرى حسبما خططنا له، وكان ما خططا له:

هذا هو الخبر الذي كنت أنتظره.
حدق وسمان إلى حيث أشار له الشاب، لم يفهم ما مكتوب بالفرنسية، بيد أن الصورة المقرونة بالخبر بينت أن ثمة جثتين هامدتين، تساءل:
-ما المكتوب هنا؟
سحب الشاب الجريدة، قرأ بالفرنسية، ثم ترجم لوسمان:
العثور على جثة العرافة الشهيرة (إيف فيليب) مقتولة بالرصاص في بيتها، بجانبها جثة خادمها الآسيوي.
سارع وسمان يسأل:
-ماذا عن المترجم؟
-وجد مقتولًا هو الآخر، في مترو الأنفاق، لكنه لم يثر انتباه الصحافة، فقد أكد لى المنفذ، أنه أفرغ رصاصتين في قلبه، وواحدة في ناصيته.
في رواية "سفاستيكا"، يصف الكاتب بعدًا أيدولوجيًا للصراع السياسي على السلطة، ذلك البعد الذي تحكمه القوة، ويبرز هذا البعد في شخصية (وسمان)، الذي يسعى إلى محو تاريخه القديم، سواء أكان هذا التاريخ يتمثل في شخص (العرافة) وخادمها الأسيوي، أم في شخص (صالح) أو في شخص

(39) المصدر نفسه، ص119.
(40) المصدر نفسه، ص 121.

المترجم، وربما يمكننا تفسير ذلك التصرف إن أخذنا بعين الاعتبار أن الأيدولوجيا هي موقف متشكك تجاه الأفكار والتصورات التي يتقدم بها الخصم، التي تُعَدُّ تمويهات واعية تختفي وراءها الطبيعة الحقيقية للوضع، ولا يمكن الاعتراف بحقيقة الوضع إلا إذا كان متفقًا مع مصالح الخصم، الذي يحاول أن يفهم الآراء على أنها ثمرة الحياة الاجتماعية[41]، وهو ما يصوره موقف "وسمان"، فقد "ابتسم وسمان مسترخيًا، نظر إلى سقف الغرفة، قال بهدوء:
يرحمهم الله لم يعد يقلقني سوى شخص واحد، الحاجة (أم صالح) فقد تسرع الغبي واتصل بها ليبشرها بعودته إلى العراق، وتسلم الرئاسة، كما نبأته العرافة"[42].
في رواية "سفاستيكا"، يتناول الكاتب حكم صدام حسين، الذي انتهى بانهيار اقتصادي مدمر، نهش بنية المجتمع العراقي من الداخل، علاوة على تخريبه بالقمع.. وهكذا انتهى الأمر بسقوط العراق تحت نير الاحتلال، وتسليمه إلى القوات الغازية المتعطشة للتخريب والبطش متمثلة في القوات الأمريكية والقوات المتحالفة معها[43].
بيد أن البعد السياسي في الرواية يجمع بين بعدين، هما البعد السياسي والبعد الاجتماعي، فالكاتب لا يكتفي بالتعبير عن أفكاره السياسية في روايته، بل يسعى أيضًا إلى التعبير عن الواقع الاجتماعي الذي يعيش فيه، ومن هنا يمكن القول بأن الواقع الاجتماعي ظل من ظلال الواقع السياسي، ولكي يتمكن الكاتب من التعبير عن الواقع الاجتماعي بدقة، لا بد أن يمتلك الوعي الأدبي الملائم، وهذا الوعي يتمثل في قدرته على التعرف على المستويات الأدبية المختلفة التي يستطيع من خلالها التعبير عن الواقع الاجتماعي[44]، ويظهر ذلك من خلال تصوير الكاتب وقت احتلال الأمريكان العراق، وهو الوقت الذي سبقه "أمير أبو شامة" في ترتيب الأحداث لدخول وسمان حلبة الصراع على الحكم بعد سقوط صدام، يقول الكاتب على لسان (أمير أبو شامة):
-"المستقبل يفتح ذراعيه لك، يمكنك أن تبدأ مشوارك السياسي إن شئت.
-وسمان: أين ومتى؟
-أمير: في إقليم كردستان، اليوم قبل الغد.
يطلب إقليم كردستان الثأر من (وسمان) بسبب مقتل عشرة من الأكراد على يد والده، وحين رأى (وسمان) عبارة "أمير أبو شامة" في إحدى الصحف، بدا عليه الدهشة، ثم بدأ الكاتب في شرح المرتكزات الاجتماعية التي تجعل (وسمان) قادرًا على تخطي هذه العقبة، وذلك من خلال شرح أيدولوجية المجتمع تجاهه بعد أن أصبح مليونيرًا[45].
على طول الرواية يؤكد الكاتب أهمية المال في السياسة، فهو القوة الخارقة التي يمكن من خلالها إصلاح ماضي السياسيين، وتغيير مستقبلهم، وتحقيق أهدافهم، ويبين الكاتب أن العلاقة بين المال والسلطة وثيقة، فهما شريكان أو وجهان لعملة واحدة لا يمكن استغناء أحدهما عن الآخر، فالمال يلعب دورًا رئيسًا في العمل السياسي، فيمكن من خلاله تغيير الأيديولوجية الخاصة بالخصم، وإعادة تشكيل شخصية الفرد، وجعله يلعب أدوارًا اجتماعية معينة، وهذا يطرح بقوة العلاقة بين الأدب والأيديولوجية، فالأدب هو تعبير أيدولوجي، بل هو خطاب أيدولوجي متكامل، لأنه ناجم عنها، وهي تعكس القيم والمعتقدات السائدة في المجتمع، وتجعل القارئ قادرًا على التنبؤ بسلوك الأفراد، كما أنها، أي: الأيديولوجية تقدم للعالم تصورًا معينًا من خلال تعبيرها عن طبقة معينة من المجتمع.

الخاتمة:

سعى الباحث من خلال هذا البحث إلى تناول أبعاد الشخصية في رواية سفاستيكا، للكاتب العراقي علي غدير، من خلال مبحثين: أحدهما يتناول البعدين الإيجابي والسلبي، والمبحث الثاني يتناول البعد

---

(41) ينظر: الأيدولوجيا واليوتوبيا، كارل مانهايم، ترجمة: محمد الديرينى، ط1، جامعة بيروت، 1985، ص 135.
(42) سفاستيكا، ص 114.
(43) ينظر: الرواية العراقية، سلام إبراهيم، ص 2.
(44) ينظر: الرواية المغاربية، تشكل النص السردي في ضوء البعد الأيدولوجي، إبراهيم عباس، (دط)، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005م، ص 317.
(45) ينظر: سفاستيكا، مصدر سابق، ص 117-118.

الاجتماعي والسياسي للشخصيات في الرواية، وتصف الرواية مراحل الانقلاب والتقلب في الحكم العراقي حتى لحظة إعدام صدام حسين، وتولي زمام الحكم من قبل القوات الأمريكية، في محاولة لرصد الصراع الأيدولوجي، والمجتمعي في العراق في هذه الفترات الحالكة في تاريخ الشعب العراقي، فالشخصية الإيجابية كان لها دور إيجابي في تغيير بناء وعقليات الشخصيات المحيطة بها.

أولًا: النتائج:

توصل الباحث إلى عدد من النتائج، أهمها:

1- الروية وضعت القارئ على الصورة الواقعية للمجتمع العراقي بصورة واحدة من خلال شخصية (حواس) ابن القرية الفقير المعدم.
2- نجح الكاتب في رسم البعد الاجتماعي للمجتمع العراقي في هذه الحقبة من خلال الصراعات الداخلية بين الشخصيات للفوز بالماديات التي تلهث وراءها.
3- كانت السلطة في صورة امرأة وهي (حواء) وكان لاستخدام الأنثى رمز يوحي بقوة سيطرة المرأة في هذا الوقت ووصولها لإدارة وتحريك المجتمع السياسي.
4- نحج الكاتب في رسم صورة رجل الظل في النظام السياسي من خلال (وسمان) الذي ابتسم له الحظ كما وصفت له العرافة.
5- كما أن الكاتب أوضح بشكل غير مباشر أن المجتمع العراقي في هذه الحقبة تسوده الخرافات والجهل وينحدر نحو مستنقع من الضلالات.
6- البعدان السسيولوجي والبولوتيكي يمثلان انعكاس للوعي النقدي لدى الكاتب، ويعبران عن رغبته في رصد الحياة الاجتماعية والسياسية لكشف التناقضات.

ثانيًا: التوصيات:

بناءً على هذه النتائج، يقترح الباحث الآتي:

1. إجراء المزيد من الدراسات والأبحاث حول بنية الشخصية في الأدب العربي، لا سيما الرواية.
2. دراسة العلاقة بين البعد الاجتماعي والسياسي في الأدب العربي.
3. إجراء دراسات مقارنة بين بنية الشخصية في الرواية العربية والرواية العالمية.
4. إجراء دراسات حول دور الأدب في رصد الحياة الاجتماعية والسياسية وكشف التناقضات.
5. دراسة تأثير الأدب في المجتمع والثقافة.

المصادر والمراجع:

1. رواية سفاستيكا، على غدير، ط1، دار سطور للنشر والتوزيع، 2016م.
2. الأبعاد الأساسية للشخصية، أحمد محمد عبد الخالق، (دط)، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، دط، 2007م.
3. الأيدولوجيا واليوتوبيا، كارل مانهايم، ترجمة: محمد الديرينى، ط1، جامعة بيروت، 1985م.
4. بانوراما الرواية العربية الحديثة، سيد حامد النساج، ط2، دار غريب، القاهرة، (دت).
5. تحليل الخطاب السردي معالجة تفكيكية سيميائية مركبة "زقاق المدق"، عبد الملك مرتاض، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر،1995م.
6. الرواية السياسية، طه وادي، (دط)، الشركة المصرية العالمية للنشر لونجمان، 2003م.
7. الرواية العراقية، رصد الخراب العراقي في أزمان الدكتاتورية والحروب والاحتلال وسلطة الطوائف، سلام إبراهيم، المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، 2012م.
8. الرواية المغاربية، تشكل النص السردى في ضوء البعد الأيدولوجي، إبراهيم عباس، (دط)، دار الرائد للكتاب، الجزائر، 2005م.
9. سوسيولوجيا الرواية السياسية، صالح سلمان، (دط)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1998م.
10. الشخصية دراسة في علم الاجتماع النفسي، حسين عبد الحميد، أحمد رشوان، (دط)، مركز الإسكندرية للكتاب، الإسكندرية، 2006م.

11. عالم الرواية، رولان بورنوف، رويال أونيلية ترجمة: نهاد التكرلي، ط1، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 1991م.
12. فن القصة، يوسف محمد نجم، (دط)، دار الثقافة، بيروت، (دت).
13. المسرح في الجزائر، صالح لمباركية، ط2، دار بهاء للنشر والتوزيع، الجزائر، 2007م.
14. نظرية الأدب، رنيه وليك، أوستن وارن، ترجمة: عادل سلامة، (دط)، دار المريخ للنشر، السعودية، 1992م.
15. نظرية البنائية في النقد الأدبي، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1998م.